Received: March 13/2026
Accepted: June 08/2026
Published Online: June 25/2026

The Rhetorical Faculty: A Theoretical Conceptual Study

Islam Milat*

University Center of Maghnia, Algeria. *

Corresponding author:
Islam Milat

Email: www.milatislam682@gmail.com

ABSTRACT

This study aims to approach the concept of the rhetorical faculty from a foundational perspective, examining its semantic roots and tracing its extensions in Arabic lexicons and Qur'anic usage. It highlights the most prominent terminological representations of the concept of *faculty* in philosophical, linguistic, and rhetorical domains and attempts to formulate a precise scientific definition of the rhetorical faculty that considers both its cognitive and functional dimensions. The study is based on an analytical-inductive methodology, relying on a conceptual comparative reading of classical texts, analyzing their content, and linking it to their cognitive contexts. It also draws on some modern linguistic perspectives that contributed to clarifying the concept and deepening its structure, achieving greater precision and terminological coherence.

Keywords: rhetorical faculty, semantic foundation, concept, terminology, Arabic lexicons.

Citation : Milat, I., (2026). The rhetorical faculty: a theoretical conceptual study.AL-Lisaniyyat, *32*(1), 156-170.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution ***AL-Lisaniyyat © 1971 by Scientific and Technical Research Center for the Development of the Arabic Language is licensed under Attribution-Non-commercial 4.0 International***

الملكة البلاغية. دراسة نظرية مفاهيمية.

إسلام ميلاط*
المركز الجامعي مغنية (الجزائر)
البريد الالكتروني المهني: www.milatislam682@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/03/13 **تاريخ القبول:** 2026/06/08 **تاريخ النشر:** 2026/06/25

ملخص:

يتغيّا هذا البحث مقاربة مفهوم **الملكة البلاغية** مقاربةً تأصيليةً، تقوم على فحص جذوره الدلالية وتتبع امتداداته في المعاجم العربية والاستعمال القرآني، وقد وقفنا على أبرز التمثلات الاصطلاحية لمفهوم الملكة في الحقول الفلسفية واللغوية والبلاغية، وحاولنا صياغة تعريف علمي منضبط للملكة البلاغية يراعي أبعادها المعرفية والوظيفية. هذا، وقد انبنى هذا العمل على منهج تحليلي استقرائي، اعتمد قراءة النصوص التراثية قراءةً مفهومية مقارنة مع تحليل مضامينها وربطها بسياقاتها المعرفية، مع الاستئناس ببعض الرؤى اللسانية الحديثة التي أسهمت في توضيح المفهوم وتعميق بنائه، بما يحقق قدراً أكبر من الدقة والانسجام الاصطلاحي.

الكلمات المفتاحية: الملكة البلاغية- التأصيل الدلالي- المفهوم- الاصطلاح- المعاجم العربية.

*المؤلف المرسل باللغة اللاتينية: Islam MILAT

La compétence rhétorique : étude théorique et conceptuelle

Résumé :
Cette étude propose une approche fondatrice du concept de compétence rhétorique à travers l'analyse de ses racines sémantiques et de ses usages dans les dictionnaires arabes et le texte coranique. Elle examine également ses principales conceptualisations dans les champs philosophique, linguistique et rhétorique, en vue d'en formuler une définition scientifique précise intégrant ses dimensions cognitives et fonctionnelles. L'analyse s'appuie sur une méthode analytique et inductive, fondée sur la lecture conceptuelle des textes patrimoniaux et éclairée par certaines perspectives linguistiques modernes.

Mots clés : Compétence rhétorique- Fondation sémantique- Concept- Terminologie- Lexiques arabes.

مقدمة

تحتلّ البلاغة مكانةً محورية في علوم العربية، بوصفها العلم الذي يُعنى بكيفية أداء المعنى أداءً يطابق مقتضى الحال، ويحقق الغاية الاتصالية والتأثيرية للكلام، غير أنّ الممارسة البلاغية لا تتحقق بمجرد الإحاطة النظرية بالقواعد والمصطلحات، بل تقوم في جوهرها على قدرة ذهنية ولسانية راسخة تمكّن صاحبها من إدراك دقائق المقام، وحسن اختيار الأساليب، وتأليف الكلام البليغ تأليفاً تلقائياً غير متكلف، وتلك القدرة هي ما اصطلح على تسميته بالملكة البلاغية. وعلى الرغم من حضور هذا المفهوم في المدونة البلاغية العربية حضوراً فعلياً من حيث الممارسة والتنظير الضمني، فإن الباحث لا يقف في حدود ما اطّلعنا عليه على تعريف اصطلاحي صريح جامع مانع للملكة البلاغية، يضبط حدودها المفهومية، ويميزها عن مجرد المعرفة البلاغية أو المهارة الجزئية. فقد ظلّ هذا المفهوم متوارياً خلف مصطلحات متجاورة مثل: بلاغة المتكلم، والذوق، والبراعة، والاقتدار، والكفاية، دون أن يُفرد بالدراسة التأصيلية المستقلة التي تكشف عن أصوله اللغوية، ومسارات تطوره الدلالي، وموقعه من النسق البلاغي العام.

ومن هذا المنطلق يمكن طرح الإشكالية التالية: كيف يمكن تأصيل مفهوم الملكة البلاغية في الدرس البلاغي العربي تأصيلاً علمياً يحدّد معالمه المفهومية، ويكشف عن أصوله اللغوية ومساراته الدلالية؟

هذا، وقد هدف المقال إلى تقديم مقاربة تأصيلية في مفهوم الملكة البلاغية ودلالتها، تنطلق من تتبع الجذور اللغوية لمادتي (م ل ك) و (ب ل غ)، واستقراء استعمالاتهما في المعاجم العربية والنص القرآني، ثم الوقوف على تطور مفهوم الملكة في الاصطلاح الفلسفي واللغوي والبلاغي، قبل الانتقال إلى تحليل مفهوم البلاغة في أبعاده اللغوية والاصطلاحية، وصولاً إلى بناء تصور اصطلاحي متكامل للملكة البلاغية بوصفها قدرة مركبة تجمع بين الفهم العميق للمقام، والتلقائية في الأداء، وحسن مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي الاستقرائي، القائم على قراءة النصوص التراثية قراءة مفهومية ناقدة، ومقارنتها، وربطها بالسياقات المعرفية التي نشأت فيها، مع الإفادة من بعض الإضاءات اللسانية الحديثة حين تسهم في توضيح المفهوم أو توسيع أفقه الدلالي، دون الإخلال بخصوصية التصور البلاغي العربي. ويطمح هذا الجهد إلى الإسهام في سدّ فراغ اصطلاحي في الدرس البلاغي، وإعادة الاعتبار للملكة البلاغية بوصفها الغاية العليا من تعلم البلاغة، وأحد المفاتيح الرئيسة لفهم الفرق بين البلاغة بوصفها علماً، والبلاغة بوصفها ممارسة حيّة مؤثرة.

1 .حقيقة الملكة البلاغية

الملكة البلاغية كلمتان ركّبتا تركيبا وصفيا، وصارتا بمنزلة اسم واحد هو لقب يدل على معنى معيّن، وقبل الولوج في الحديث عن أهمية الملكة البلاغية وأنواعها وسائر ما يتعلق بذلك، يتعيّن الوقوف عند حقيقتها؛ من حيث بيان المدلول اللغوي للفظي هذا الاصطلاح المركّب، ومن حيث المعنى الاصطلاحيّ لكلّ لفظ، ثم بيان المعنى اللّقبي للهيئة التركيبية التي كوّنت هذا المصطلح.

1.1 الملكة:

1.1.1 الدّلالة اللغوية: حين يتأمّل الباحث المعاني التي توردها المعاجم اللغوية لمادّة (م ل ك) فسيجد أنّ لهذه المادّة استعمالات كثيرة ومعاني متنوعة، يقول ابن فارس (ت 395ه) " الميمُ والكَافُ واللّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدَلُّ عَلَى قُوَّةٍفِي الشَّيءِ وصِحَّة، يُقَال: أَمْلَكَ عَجِينَهُ: قَوَّى عَجْنَهُ وشَدَّهُ، ومَلَّكْتُ الشَّيءَ قَوَّيْتُهُ" (فارس، 1979).

ويقول ابن منظور (ت 711ه): "المُلْكُ والمُلْكُ احْتِواءُ الشّيءِ والقُدرَةُ عَلَى الاسْتِبْدَادِ بِه، وطَال مُلكُه ومِلْكُهُ ومَلَكَته (عن اللحياني) أيْ رَقَّهُ. ويُقالَ: إنّهُ حَسَنُ المَلَكَة والمَلكِ، وَفِي الحَدِيث: " لا يَدْخُلُ الجنَّةَ سَيّءُ المَلَكَةِ، مُتَحَرّكٌ؛ أيْ الذي يُسِيءُ صُحبَةَ المَمَاليكِ، ويُقَالُ: فُلانٌ حَسَنُ المَلَكَة إذا كَانَ حَسَنَ الصَّنِيعِ إلى مَمالِيكِهِ، وَفِي الحَدِيث: حُسْنُ المَلَكَة نَماءُ، هَوَ مِن ذَلك" (منظور، 2006).

ويقول الفيروزآبادي (ت817ه) " مَلَكَهُ يمْلكُهُ مِلْكَا، مُثَلثةٌ، ومَلَّكَه، محَرَّكَة، مَملُكَة، بضمّ اللّام أَو يُثَلّثُ، احتَوَاه قَادِرا على الاسْتِبدَادِ بِه، وَمَالهُ مِلْكٌ، مُثَلثا ويُحرّكُ، وبضمتينِ: شَيء يَملِكُه، وأمْلكَهُ الشّيءَ، ومَلَّكَهُ إياهُ تَمليكا بمعنى" (الفيروزآبادي، 1979).

وإذا أمعنا النظر في هذه المعاني المتعددة، وجدنا أنّ مادة (م ل ك) لا تَشذُّ في دلالتها عن معنيين:

✓ **أوّلهما:** التّمكن من الشّيء.

✓ **وثانيهما:** القدرة على التّصرف فيه، سواءٌ أكان مادّيا أم معنويا.

ولعلّ بالإمكان الجمع بين المعنيين في تصور واحد؛ وهو ما يظهر جليا في قولهم: مَلكَ العجّينَ يَملكُه مَلْكا، وأمْلكَه: إذا أنْ أنعَمَ عَجْنه، وقِيل: إذا قَوِيَ عَليهِ، وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ رضِي الله عَنهُ: أمْلِكُوا العَجِينَ فإنّه أحَدُ الرَيْعَينِ أي الزّيادَتيْن؛ أرادَ أنَّ خُبزهُ يزيدُ بما يَحْتمِله من الماءِ بجوْدَةِ العَجْنِ، وقالَ بعْضُهُم: عجَنَت المرأةُ فأمْلكَتْ: إذا بَلغتْ مِلاكَتهُ وأجادَتْ عَجْنه حَتّى يأخُذَ بعْضُه بعضًا كَمَلَّكَهُ تَمليكا، وَمَلاكُ الأمْرِ بالفتحِ ويُكْسَرُ: قوامُه الذّي يُملكُ بهِ وصَلاحُه، وَملكَ الخِشْفُ أمَّهُ: إذا قَوِي وَقَدَرَ أن يَتْبعَهَا (جبل، 2010).

إذن، فالجمع بين المعنيين ليس مجرد تلازم ظاهري بل هو اتحاد جوهري؛ إذ إنّ القدرة على التصرف في الشيء لا تكون ممكنة دون تمكّن، ولا يتحقّق هذا التمكّن إلا بالقدرة الفعلية على الشيء والإحاطة به من جميع جوانبه، وهذا التداخل العميق بين التمكن والقدرة على التصرف لم يكن غائبا عن الوعي اللغوي العربي القديم، فق د عبّر عنه بجلاء ابن جني (393ه) في حديثه عن الفرق بين الكلام والقول، حين قال: "مِنْ ذلك مَلَكْتُ العَجِينَ، إذا أنعمْتَ عَجْنَهُ فاشتدَّ وقوِيَ، ومنه مَلَكَ الإنسَانُ ألا تراهم يقولون: قد اشتمَلَتْ عليه يَدِي، وذلك قوّةً وقدرةً مِن المالكِ عَلى مُلكِه ومِنه المُلْكُ، لِما يُعْطَى صَاحبُه مِن القوّةِ والغَلَبة، وأمْلكَت الجَاريةُ؛ لأنّ يدَ بَعلِها تقتدر عليها (بن جنّي، د ت)

ويزداد هذا التصوّر رسوخًا إذا ما نُظر إلى الاستعمال القرآني لمادّة (م ل ك) فقد جاء مؤكّداً هذا المعنى المركّب القائم على التمكّن والقدرة معاً، إذ استُعملت المادة في سياقات تدلّ على الإحاطة والتصرّف والنفوذ، سواء أكان ذلك في الملك الحسّي أم في الملك المعنوي، قال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ**﴾ **[سورة آل عمران: الآية: 26]**، فدلّ "المُلك" هنا على تمام القدرة وسعة التصرّف، لا على مجرّد الحيازة، وقال سبحانه: ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ **[سورة الحديد: الآية: 5]**، وهو ملك إحاطة وتدبير وهيمنة. كما جاء الفعل في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَا مَلَكَت يَمِينُكَ**﴾ **[سورة النساء: الآية 3]**، مشيراً إلى معنى الاختصاص والقدرة المقترنة بالتمكّن.

إذن، يمكن أن نتبيّن من خلال هذا الاستعمال القرآني أنّ الملك لا يتحقّق إلا إذا اقترنت القدرة بالسيطرة، والتصرّف بالإحاطة، وهو ما ينسجم تمام الانسجام مع ما انتهت إليه الدلالة المعجمية، فالملك في جوهره ليس حالة طارئة ولا فعلاً عابراً، بل هو صفة راسخة تنشأ عن ممارسة طويلة وتمكّن عميق.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول إنّ الملكة في أصلها اللغوي تدلّ على صفة ثابتة، وقدرة متأصّلة، تُمكّن صاحبها من التصرّف المحكم فيما يملك، تصرّفاً يصدر عن اقتدار لا عن تكلّف، ومن هنا كان انتقال هذا اللفظ من المجال الحسّي إلى

المجال المعنوي انتقالاً طبيعياً، إذ استُعملت "الملكة" للدلالة على الصفات الراسخة في النفس، كملكة الفهم، وملكة الذوق، وملكة البيان.

هذا الذي فهمناه في أصل اللفظ واستعماله عند العرب سيمهدّ للحديث عن مفهوم الملكة البلاغية في الاصطلاح، بوصفها قدرة مكتسبة راسخة في النفس، تمكّن صاحبها من التصرّف في المعاني والألفاظ تصرّفاً واعياً محكماً قائمًا على التمكّن والاقتدار، ومثمِرًا لحسن اختيار الأساليب ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

غير أنّه من المهم الإشارة إلى تطور دلالة مادة (م ل ك) في معاجم اللغويين المتأخّرين، حيث لم تَعد مقتصرة على معنى التمكّن والاستحواذ، بل اتسع نطاقها ليشمل الاستعداد والقابلية الذاتية، فقد جاء في المعجم الوسيط أنّ الملكة: "صفة راسخة في النفس، أو هي استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة" (العربية، 2004)، وبناء عليه، تفهم الملكة على أنها قابلية فطرية أو مكتسبة، عقلية أو نفسية، تؤهل صاحبها للقيام بعمل معين بدرجة عالية من الإتقان، والنضج، والإبداع، والدّقة، والجودة، والمهارة. ويترتب على هذا الفهم أن الإنسان يمتلك نوعين من الملكات: ملكات فطرية يولد بها، كسرعة الفهم، وقوّة الحافظة، وحدّة الذكاء، وملكات مكتسبة تتكوّن بالممارسة والتدريب وطول المعاناة، كالملكة اللغوية والبلاغية والنقدية. ولا ينفصل هذان النوعان انفصالاً تامّاً، بل يتكاملان؛ إذ تقوم الملكات المكتسبة في الغالب على أساس من الاستعداد الفطري، ثم تنمو وترسّخ بالمران والتجربة.

إنّ هذا التصور يفضي إلى الإقرار بأن الملكات البشرية تنقسم من حيث مصدرها إلى نوعين: ملكات عقلية فطرية موروثة، وملكات تجريبية حسّية مكتسبة، وهذا التّداخل بين الموروث والمكتسب يعكس الطبيعة الثنائية للوجود الإنساني، حيث لا تنفرد الوراثة ولا البيئة وحدها بتحديد ملامحه الإدراكية والمعرفية، بل تتكاملان في تشكيل شخصيته وصقل قدراته. وتأسيسا على هذا، تتنوع الملكات الإنسانية وتتشعب تباعا للمجالات المعرفية والوظيفية التي ينشط فيها الإنسان، فمنها ما يتعلق بالجانب اللغوي كالملكة اللغوية التي تمكّن صاحبها من استعمال اللغة بمرونة ودقة، والملكة الخطابية التي تؤهله للبيان والإقناع، والملكة الشعرية المرتبطة بالإبداع والجماليات، والملكة العددية التي تسهّل التعامل مع المفاهيم الرياضية والمنطقية، وملكة الحفظ التي تعدّ أداة رئيسة في التحصيل المعرفي، وإلى جانب هذه الملكات، توجد ملكات أخرى تتشكل في سياقات خاصة، وتنمّى بالتجربة والممارسة، وتخضع في تطورها إلى عوامل متعددة، نفسية، وتربوية، واجتماعية.

ويجدر الإلماح هنا في سياق توسيع أفق الدلالة، إلى أنّ بعض الدراسات الحديثة اتجهت إلى ترجمة مصطلح الملكة باللفظة الفرنسية (Maturité)، وهي لفظة تحيل إلى جملة من الخصائص الذهنية والنفسية مثل: النضج والرشد والحصافة والاتزان، فضلاً عن القدرة على الفعل الواعي والإنتاج المنظَّم (إدريس، 1986)، وتكشف هذه المقاربة عن انتقال مفهوم الملكة من مجرّد القدرة أو التمكّن إلى حالة من الاكتمال المعرفي والتوازن الداخلي الذي ينعكس في جودة الأداء وحسن التصرّف.

ومن زاوية مغايرة، قدّم اللساني الأمريكي نعوم تشومسكي مفهوم (Compétence) بوصفه مقابلاً نظرياً لما يُعرف بالملكة اللغوية، حيث يُحيل به إلى الكفاية اللغوية الكامنة لدى المتكلّم، أي تلك القدرة العقلية الفطرية التي تمكّنه من إنتاج عدد غير متناهٍ من الجمل وفهمها، اعتماداً على نظام قاعدي داخلي، مستقلّ في جوهره عن الخبرة اللغوية المباشرة أو الممارسة الظاهرة.

هذا، وعلى الرغم من اختلاف المنطلقات التي تقوم عليها هاتان المقاربتان، فإنّهما تلتقيان دلاليا مع مفهوم الملكة في التراث العربي، من حيث كونها قدرة راسخة، تتجاوز حدود المعرفة السطحية إلى مستوى التمكّن العميق، سواء أكان هذا التمكّن وليد الاستعداد الفطري، أم ثمرة النضج والتكوين والتجربة الطويلة.

وصفوة القول: إنّ الملكة في الأصل اللغوي مفهوم يجمع بين التمكن والإحاطة بالشيء والقدرة على التصرف فيه، فهي صفة راسخة في النفس تشمل استعدادات فطرية وملكات مكتسبة عقلية ونفسية، تمنح صاحبها القدرة على الأداء المتقن في

ميادين متعددة سواء كانت لغوية أو بلاغية أو فكرية أو جمالية. وما يلفت الانتباه أن هذا المعنى ظل حاضراً في جوهره على الرغم من تطوّر الدلالة في المعاجم المتأخّرة وتعدّد المقاربات الحديثة، مما يؤكّد أنّ مفهوم الملكة .قديمًا وحديثًا .يتجاوز حدود المعرفة النظرية إلى مستوى الكفاية الفاعلة والأداء المتقن.

2.1.1 الدلالة الاصطلاحية: تزخر المدونات اللغوية، والفلسفية، والأصولية بتعريفات متعدّدة لمفهوم "الملكة"، تختلف فيما بينها من حيث مستوى الدقة، وشمول العناصر، وسلامة العبارة، ومدى الإحاطة بماهية المفهوم وخصائصه. وفي هذا السياق، سنعرض لأبرز هذه التعريفات، مبينين ما يميز كلاّ منها من حيث البناء والمضمون، مع التوقف عند ما قد يرد عليها من ملاحظات أو إشكالات، ثم نختم بمحاولة لصياغة تعريف جامع مانع، يتسم بالسلامة الاصطلاحية والمنهجية، مع تحليل مفرداته، وبيان ضوابطه، ومحترزاته.

أ- تعريف الفارابي: يعدّ الفارابي (ت 339هـ) من أوائل المفكرين الذين تناولوا مفهوم الملكة وشروط اكتسابها، وقد أشار في سياق حديثه عنها إل أنّها تمثل نوعا من الاستعداد الفطري الذي يولد الإنسان مزوّدا به، حيث يقول: " والإنسان إذا خلا من أول ما يفطر ينهض ويتحرك نحو الشيء الذي تكون حركته إليه أسهل عليه بالفطرة، وعلى النوع الذي تكون به حركته أسهل عليه، فتنهض نفسه إل أن يعلم أو يفكّر أو يتصور أو يتخيل أو يتعقّل كلّ ما كان عنده استعداده له بالفطرة أشدّ وأكثر فإن هذا هو الأسهل عليه ويحرك جسمه وأعضاءه إل حيث تحركُّه، وعلى النوع الذي استعداده بالفطرة له أشدّ وأكثر وأكمل، فإن هذا أيضا هو الأسهل عليه. وأول ما يفعل شيئا من ذلك بفعل بقوة فيه بالفطرة وبملكة طبيعية لا باعتياد له سابق قبل ذلك ولا بصناعة" (الفرابي، 1990).

ولم يكتف الفارابي بهذا، بل نراه يفرّق الفارابي بين نوعين من الملكات: الخلقية والصناعية، الخلقية المرتبطة بالطبع والسلوك، والصناعية المتعلقة بالمهارات المكتسبة، مؤكداً أن كليهما يتأسس على التكرار والاعتياد، حيث تؤدي المواظبة المستمرة على الفعل إلى ترسيخ الصفة أو المهارة في النفس وتحويل الاستعداد الفطري إلى قدرة راسخة قابلة للاستخدام والإتقان. يقول: "وإذا كرّر فعل شيء من نوع مرارا كثيرة حدثت له ملكة اعتيادية؛ إمّا خُلقية أو صناعية" (الفرابي، 1990)، ويضيف أنّ تحقق الملكة لا يتمّ عشوائيا، بل يشترط له تكرار الفعل لفترة زمنية طويلة، وبصورة متقاربة، حيث يقول: " الذي يكتسب به الإنسان الخلق، أو ينتقل عن خلق صادفها عليه هو الاعتياد، وأعني بالاعتياد: تكرير فعل الشيء الواحد مرارا كثيرة، زمانا طويلا، في أوقات متقاربة" (الفرابي، 1990)، واستناداً إلى ما سبق، يتضح أن الفارابي (ت 339هـ) حدّد مجموعة من الشروط الجوهرية التي يجب توفرها لاكتساب الملكة:

أولا: الاستعداد الفطري المسبق: إذ يؤكد الفارابي أن الإنسان يولد مزوّدا بقابلية طبيعية أو استعداد فطري يدفعه نحو ما هو أسهل عليه بحسب تكوينه النفسي والعقلي والجسدي، وهذا يشكّل الأساس الذي تبنى عليه الملكات لاحقا.

ثانيا: التّكراروالممارسة المنتظمة: يربط الفارابي بين اكتساب الملكة والمواظبة على تكرار الفعل، مؤكدا أن الملكة لا تكتسب بالفعل العرضي أو المؤقت، بل تحتاج إل تكرار متواصل عبّ "مرات كثيرة.

ثالثا: الامتداد الزمني الطويل: لا يكفي عنده التكرار وحده ما لم يكن ممتادا على فترة زمنية كافية، فالفعل المتكرر عبّ زمن طويل يسهم في ترسيخ الملكة في النفس.

رابعا: التقارب الفعلي: يشترط الفارابي أن تقع أفعال التكرار في أوقات متقاربة، بحيث يكون بينها ترابط واستمرارية تؤدي إل الترسخ التدريجي للملكة.

خامسا: التمييز بين أنواع الملكات: يفرق الفارابي بين الملكة الخلقية التي ترتبط بالسلوك والتصرف، والملكة الصناعية التي ترتبط بالصناعة أو المهارة المكتسبة، مما يعكس وعيا مبكرا بتنوع طبيعة الملكات واختلاف طرائق بنائها.

هذا، وعلى الرغم من شمولية تعريف الفارابي وعمق رؤيته لمفهوم الملكة، إلا أن مقاربته لا تخلو من بعض الإشكالات فتعريفه يغلب عليه الإطناب والتفصيل، مما يضعف دقته الاصطلاحية ويبعده عن شرط الإيجاز والتركيز اللازمين للتعريف المنطقي السليم، كما أنه يميل إلى الاقتصار على الفطرة وتقليل دور الإرادة الواعية، إذ يرى أن الإنسان يتوجه فطرياً نحو ما هو أسهل عليه، متجاهلاً أن الإنسان قد يسعى بدافع القيم أو الطموح إلى ما هو أصعب عليه، مخالفاً ميوله الأولية. وأخيراً، يعتمد الفارابي بشكل كبير على التكرار والاعتياد كأساس لاكتساب الملكة، وهو أمر صحيح جزئياً ويتقاطع مع النظريات السلوكية الحديثة، إلا أن الاكتفاء بالتكرار وحده قد يؤدي إلى ترسيخ أخطاء أو تكوين ملكات ناقصة، مما يبرز ضرورة دمج الوعي والفهم مع الممارسة لضمان الإتقان الحقيقي.

ب- تعريف إخوان الصفا: أمّا إخوان الصفا (القرن 4هـ/ 11م) فقد ربطوا مفهوم الملكة بمفهومي العادة والمهارة، معتبّين إياها نتاجا طبيعيا للممارسة المتكررة والمواظبة، سواء في مجال الأخلاق أو في مجال الصناعات. وقد عبَّروا عن هذا التصور بقولهم: "واعلم أنّ العادات الجارية بالمداومة عليها تقوي الأخلاق الشاكلة لها، كما أن النظر في العلوم والمداومة على البحث عنها والدرس لها، والمذاكرة فيها يقوي الحذق بها والرسوخ فيها، وهكذا المداومة على استعمال الصنائع والتدرب فيها يقوي الحذق بها والأستاذية فيها" (إخوان الصفا، 1983) يتضح من هذا النص أن الملكة، عندهم، تفهم بوصفها حالة غير ثابتة في النفس، تنشأ بالتّكرار والممارسة، وتتطور بالتدرج، حتى تغدو عادة راسخة لا يشعر بها الإنسان إدراكا مباشرا أو واعيا. غير أن هذا التّصور لا يخلو من إشكالات نقدية، أبرزها:

• **عدم التمييز الدقيق بين العادة والملكة:** إذ إن العادة تكتسب غالبا من خلال التكرار الآلي دون حضور الوعي، بينما الملكة تتطلب فهما عميقا ووعيا بالفعل أثناء الممارسة.

• **غياب الحسم في أصل الملكات:** فالملاحظ أن إخوان الصفا لم يتطرقوا بوضوح إذا ما كانت الملكات في أصلها فطرية أم مكتسبة، وهو ما مثل ثغرة مفاهيمية في طرحهم، خصوصا إذا ما قورن برؤية ابن خلدون اللاحقة، الذي شدّد على أن الملكات تكتسب بالاكتساب التدريجي، داخل سياقات اجتماعية وثقافية تُهيئ لنشأتها وتطورها.

ج - تعريف ابن خلدون: عرّف ابن خلدون (ت 808هـ) الملكة بأنها: "صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة... وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته" (ابن خلدون، 1981).

يفهم من هذا التعريف أن الملكة لا تكتسب دفعة واحدة، بل تتشكّل تدريجيا بفعل التكرار والممارسة العملية. وقد حدّد ابن خلدون ثلاث مراحل رئيسة لرسوخ الملكة، في وصف دقيق يعدّ من النفائس المفهومية في "المقدمة"، إذ يقول: "والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ثمّ تتكّرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة" (ابن خلدون، 1981).

ومع وضوح طرح ابن خلدون، إلا أن تعريفه لا يخلو من بعض الملاحظات النقدية، فقد بالغ هذا الأخير في التركيز على التّكرار وحده كعامل أساسي لاكتساب الملكة، متجاهلاً عناصر مهمة أخرى مثل الفهم العميق، والابتكار، والتفاعل مع المعرفة، والقدرة على الربط بين المفاهيم، كما أغفل البعد الفطري والاستعداد الشخصي إذ لم يأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية في الذكاء والميول والاستعدادات العقلية التي قد تسرّع اكتساب الملكة لدى بعض الأفراد مقارنة بغيرهم. إضافة إلى ذلك، كان تعريفه عامّا وغير محدّد، إذ لم يفرّق بين أنواع الملكات المختلفة. كالملك العقلية والجسدية واللغوية رغم أن لكل نوع منها آليات اكتساب وتطوير خاصة، وكان من الأجدر الإشارة إلى هذا التنوع لضمان دقّة التعريف وشموليته .

د ـ تعريف الشريف الجرجاني: عرّف الشريف الجرجاني (ت 816هـ) الملكة بقوله: "الملكة هي صفة راسخة في النفس"، ثم استأنف تفصيله لهذا المفهوم بقوله:" وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة، بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية، وتسمّى حالة ما دامت سريعة الزوال؛ فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال، فتصير ملكة، وبالقياس إل ذلك الفعل عادة وخلقا" (الجرجاني، 1983).

ويبدو أن الجرجاني قد قدّم إضافتين مهمّتين يمكن عدّهما تحسينا اصطلاحيا ومفاهيميا:

أولهما: التمييز بين "الحالة" و"الملكة: حيث فرّق بين الهيئة النفسية العابرة التي تكون سريعة الزوال وتسمى "حالة"، وبين الملكة التي لا تتكوّن إلا إذا ترسّخت هذه الهيئة بفعل التكرار، فأصبحت صفة بطيئة الزوال، وهو ما يدلّ على ثباتها واستقرارها في النفس.

وثانيهما: إبراز العلاقة بين التكرار والرسوخ: فقد أوضح أن الأفعال المتكررة لا تظل مجرد أفعال، بل تتحوّل تدريجيا إلى صفات نفسية مستقرة، ما يشير إل بعد تكويني للملكة، ناتج عن التمرن المستمر. وهذه الرؤية تتقاطع مع ما تشير إليه نظرية التعوّد (Habituation) في علم النفس الحديث، من أن التكرار والممارسة المستمرة يؤديان إل تشكّل استجابات أكثر ثباتا واستقرارا لدى الفرد. ومع ما يكتسبه تعريف الجرجاني من قيمة علمية وفكرية، إلاّ أنّه لا يخلو من جوانب يمكن نقدها ومراجعتها، حيث تظهر بعض النقاط التي تستدعي التدقيق والتعقيب، لعل أبرزها ما يلي:

أولاً: التمييز بين "الحالة" و"الملكة": فبينما يرى الجرجاني أن الحالة صفة غير مستقرة والملكة صفة راسخة، فإن هذا التمييز، رغم أهميته النظرية، يواجه صعوبة في التطبيق العملي، إذ غالباً ما يكون الانتقال من الحالة إلى الملكة تدريجياً ومرتبطاً بعوامل متعددة متشابكة، مما يصعب تحديد اللحظة الدقيقة للتحول.

ثانياً: قلة الإشارة إلى الفروق الفردية والقدرات الفطرية؛ فتعريفه يركز بشكل أساسي على العامل الخارجي للتكرار في تكوين الملكة، متجاهلاً تأثير القدرات الذهنية، والموهبة، والظروف النفسية والاجتماعية، التي تلعب دوراً مهماً في تسريع أو إبطاء اكتساب الملكة.

ثالثاً: عدم التفصيل في أنواع الملكات: إذ يقدّم تعريفاً عاماً دون تصنيف واضح بين الملكات العقلية والجسدية واللغوية وغيرها، مما قد يحد من دقته وفاعليته عند التطبيق في ميادين متخصصة كالبلاغة أو الفنون أو العلوم.

هـ ـ تعريف الطاهر ابن عاشور: عرّف محمد الطاهر ابن عاشور الملكة بقوله: "ونعني بالملكة: أن يصير العمل بتعليمات العلم كالسجية للمتعلم لا يحتاج معها إل مشايعة القواعد إياه" (عاشور، 2008) غير أن هذا التعريف يواجه عدة ملاحظات نقدية:

أولا: يفتقر التعريف إل شمولية مفهوم الملكة وخصائصها، إذ إنّ الملكة لا تقتصر على اكتساب العلوم فقط، بل تمتد لتشمل مختلف المهارات والعلوم التطبيقية كالطب والحساب، وكذلك المهن والحرف كالنجارة والحدادة، فضلا عن اكتساب الأخلاق الحميدة والأفعال التي يمارسها الإنسان في حياته اليومية مثل قيادة السيارة أو الكتابة بالحاسوب، والتي تبدأ بصعوبة وجهد ثم تتحول إل ملكات راسخة.

ثانيا: يشير التعريف إل أن العمل يصبح كالسجية، لكنه لا يوضح بشكل صريح أن الأفعال الصادرة عن الملكة تتم بسهولة ويسر.

ثالثا: لم يذكر التعريف أن الملكة هي صفة نفسية راسخة ومتأصلة في النفس، مكتفيا بالتشبيه دون بيان طبيعة هذه الصفة بوضوح

• **التعريف المختار: الملكة في الاصطلاح: (صفة راسخة في النفس، ينتج عنها ممارسة الأفعال المتعلقة بها ب سهولة و إتقان، من غير فكر ولا روية).**

فقولنا: (صفة راسخة في النفس) إشارة إل أن هذه الخاصية ليست من الأمور الطارئة أو العارضة، بل هي من الصفات المكتسبة التي تترسّخ في الكيان النفسي والعقلي للإنسان، بحيث تصبح جزء، من شخصيته، وتظهر في سلوكه بشكل دائم. وهذا الترسيخ لا يتأتى إلا بالممارسة الطويلة والتكرار المنظم، حتى تصبح الأفعال الناشئة عنها تجري على اللسان أو اليد أو الفكر كالعادات المتأصلة، لا تتطلب مجهودا شعوريا واعيا عند أدائها.

وقولنا: (ينتج عنها ممارسة الأفعال المتعلقة بها بسهولة وإتقان) هو بيان للنتيجة العملية لهذه الصفة، إذ يصبح صاحب الملكة قدارا على أداء ما يتعلق بها من أعمال دون عناء أو تكلف. ويكون أداؤه لتلك الأعمال مشفوعا بالإتقان والجودة، بحيث تكون خالية .في الغالب .من الأخطاء، وذات مستوى عالٍ من الكفاءة. فالملكة لا تقتصر على مجرد السهولة في الأداء، بل تشمل كذلك الإحكام والتمكن؛ ولتقريب الفكرة يمكن تصوّر طالب علم النحو فإنه "يتعلم قواعده ويتدرب على التزامه في منطقه ويحاول الإعراب في حديثه وكتابه، فإذا ما استمر في ذلك وداوم تكراره صار النطق على الوجه الصحيح ملكة مستقرة له، لا يحتاج فيها إل تذكر القواعد، بل يجري على لسانه سهلا حاضرا بلا تكلف" (القاضي، 2016). فالطالب هنا لا يقتصر على اكتساب قواعد النحو نظرياً، بل يسعى لتطبيقها عملياً في كلامه وكتابته، فتترسخ هذه القواعد في ذهنه شيئاً فشيئاً، لتتحول إلى ملكة راسخة، أي قدرة ثابتة ومستقرة. وما يلفت الانتباه هو الانتقال من مجرد الوعي بالقواعد إلى التلقائية في التطبيق، حيث يصبح الأداء اللغوي صحيحاً وسلساً دون حاجة لاستدعاء القواعد ذهنياً في كل مرة. هذا التحول لا يتحقق إلا بالمثابرة والمداومة، مما يوضح أن المعرفة النظرية وحدها لا تكفي، بل يجب أن تصاحبها ممارسة عملية متواصلة ومنهجية. كما تسلّط هذه العملية الضوء على أهمية التدرج والتكرار، وهما أساس اكتساب المهارات وصقلها، لتصبح قدرات الطالب متقنة ومتراكمة، إذ إن الإتقان الحقيقي لا يُنال دفعة واحدة، بل يثمر بعد مراحل متتابعة من التدريب والصقل المستمر.

وقولنا: (من غير فكر ولا روية) فهو تأكيد على أن هذه الصفة الراسخة تنتج عنها أفعال تصدر بسرعة وتلقائية، دون توقف للتفكير أو حاجة لتأمل طويل. فالملكة تجعل الفعل المعقّد في أصله يبدو بسيطا في ممارسته، لأنها تختصر العمليات الذهنية الواعية، وتُحيلها إل عمليات شبه آلية، كما يحدث عند من تعوّد قيادة السيارة أو العزف على آلة موسيقية: في البداية يحتاج إل تركيز شديد، لكن مع الوقت تصبح القيادة أو العزف فعلا يجري بسلاسة دون تفكير شعوري في كل خطوة. وهكذا، فإن الملكة تمثل مرحلة متقدمة من التعلم والتمرس، يتجاوز فيها الفرد مرحلة المعرفة النظرية إل مستوى التلقائية والإتقان العملي، مما يجعلها من أهم ما يطلب في العلوم والصناعات والمهارات المختلفة، سواء كانت عقلية، لغوية، فنية أو يدوية.

2. البلاغية

1.2 البلاغية في اللغة: نسبة إلى البلاغة، ولا يكاد يخفى أ نّ مصطلح "البلاغة" من المصطلحات المركزية التي استقر ظهورها في التأليف البلاغي منذ مراحل مبكرة، وقد اقتر ن غالبا بمصطلح "الفصاحة"، حتى غدا استعمالهما مشتركا في السياقات ذاتها، سواء على سبيل الترادف أو التلازم المصطلحي، وقد ترتب على هذا الاستعمال المتداخل أن وُظفت إحدى اللفظتين أحيانا في موضع الأخرى، دون تمييز دقيق بينهما، مما يعكس مرحلة من الغموض الاصطلاحي قبل أن تتبلور الحدود الفاصلة بين المفهومين في المعالجة البلاغية المتأخرة.

2.2 الدلالة اللغوية: تدل كلمة البلاغة في أصل معناها اللغوي على الوصول والبلوغ والانتهاء، وقد بيّن ابن فارس أنّ أصل هذه الكلمة يعود إل الجذر الثلاثي (ب ل غ) الذي يدلّ على معنى الوصول إل الشيء، "تقول: بلغت المكان: إذا وصلت إليه... وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان؛ لأنه يبلغ بها ما يريده، ويقال: لي في هذا بلاغ، أي كفاية" (فارس، معجم مقاييس اللغة، 1979).

وأمّا في لسان العرب، فقد ورد أن الفعل (بلغ) يدلّ على الوصول والانتهاء، قال ابن منظور: "بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا، إذا وصل وانتهى، والبلاغ ما يتبلغ به ويتوصل به إل المطلوب، والبلاغ: ما بلغك، والإبلاغ: الإيصال، بلغت المكان بلوغا: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه، ومنه قوله تعال: "فإذا بلغن أجلهن" أي قاربنه (منظور، 2006) وجاء في المعجم الوسيط أنّ الفعل (بلُغ) يدلّ على فصاحة المتكلم، وفي ذلك يقول: "بلغ بضمّ اللام بلاغة فصُح، وح ،سن بيانه، فهو بليغ وجمعه بلغاء، والبلاغة: حسن البيان وقوة التأثير " (مجمع اللغة العربية، 2004).

وإذا نظرنا إلى الاستعمال القرآني لمادّة "بلغ" فسيتجلى لنا البعد البلاغي في دقة توظيفها بحسب السياق والغاية، إذ تتنوع دلالاتها بين البلوغ الحسي كالسنّ أو المكان، والبلوغ المعنوي كالتأثير أو إيصال الرسالة. فالقرآن الكريم يستخدم هذا الجذر للدلالة على تبليغ الأنبياء الرسالة، مع التأكيد على أن مهمتهم تنحصر في الإبلاغ دون ضمان استجابة المخاطبين، كما في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِين**﴾ **[سورة النحل، الآية: 35]**، وقوله :﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾ **[سورة المائدة، الآية: 99]**. فهذه الآيات تظهر أن البلاغ في القرآن ليس مجرد نقل للمعلومة، بل هو أداء مسؤول ومُبيَّن، يقيم الحجّة على السمع.

كما يتجلى البعد البلاغي في استعمال "بلغ" للدلالة على قوة التأثير في النفس، حيث يُستفاد من "البليغ" ما يصل إلى النفس فيحدث فيها أثراً عميقاً بما يحمله من مضمون مؤثر، لا يقتصر على الفصاحة اللفظية فقط. يقول الراغب الأصفهاني:" البلاغة تقال على وجهين: أحدهما: أن يكون بذاته بليغا، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف: صوبا في موضوع لغته، وطبقا للمعنى المقصود به، وصدقا في نفسه، ومتى اخترم وصف من ذلك كان ناقصا في البلاغة. والثاني: أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمرا فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له"(الأصفهاني، 1413 ه).

ويلاحظ كذلك تنوع الاشتقاقات الواردة في القرآن مثل: بلاغ، بليغ، أبلغ، مبلغ، بالغين، وكلّها توظف بدقة تباعا للغرض البلاغي والمعنوي، كما في قوله تعال: {هذا بلاغ للناس ولينذروا به} (إبراهيم: 52)، حيث يفهم من "بلاغ" هنا الرسالة الكاملة التي تتمّ الحجّة وتدعو للتدبر.

إذن، فالبلاغة عند أهل اللغة ليست مجرد فصاحة شكلية، بل هي جودة التعبير المقرونة بإصابة المعنى وإيصال الفكرة على أكمل وجه، وهذا المعنى اللغوي يعكس ارتباطها الوثيق بقدرة المتكلم على تحقيق غاية التعبير بفعالية، فهي لا تقاس فقط بسلامة اللفظ، بل بكفاءة الإيصال أي اضا.

والحاصل: أنّ مصطلح البلاغة يقوم على تكامل عنصرين جوهريين: الفصاحة بوصفها أداة، والإبلاغ بوصفه غاية، مما يجعلها فنا يتجاوز جمال اللفظ ليشمل قوة التأثير، كما يتضح مما سبق أ نّ المتكلم البليغ ليس من يملك ثروة لغوية فحسب، بل من يُحسن استخدامها لإيصال المعنى بطريقة تؤثر في المتلقي، وتحقق الغاية الاتصالية للنص.

3.2 الدلالة الاصطلاحية: يتفاوت مصطلح البلاغة في دلالته بحسب ما ينسب إليه، فهو يستخدم تارة وصفا للكلام، كما أنه يكون وصفا للمتكلم، ولا يطلق في أصل الوضع على الكلمة المفردة، فلا يقال: "كلمة بليغة" في الاستعمال العربي القديم، لعدم ثبوت ذلك في السماع، غير أنّ هذا التعبير قد يستعمل على سبيل التجوز، فيُراد بالكلمة حينئذ قصيدة أو خطبة أو مقالا، فيقال: "كلمة بليغة" بمعنى "قصيدة بليغة" أو "خطبة بليغة.". وفي هذا الإطار، سنتناول أهم التعريفات التي وضعها العلماء عبّ العصور للبلاغة، سواء من القدماء أو المتأخرين، قبل أن نبّز التعريف الأنسب والأدق من الناحية الاصطلاحية.

عرّف أبو هلال العسكري (ت 395ه) البلاغة بأنها: " كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن" (العسكري، 1419 ه) فأبو هلال يربط بين البلاغة وقوة التأثير في المتلقي؛ فالكلام

البليغ ليس مجرد نقل للمعنى، بل هو نقل شعوري، يُحدث في نفس السامع نفس الأثر الذي في نفس المتكلم، ويقدَّم بأسلوب جميل وجذاب.

وعرّف عبد القاهر (471ه) البلاغة مع الفصاحة والبيان والبّاعة بأنّها: "وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما كانت له دلالة ثم تبّجِّها في صورة هي أبهى وأزين، وآفق وأعجب وأحقّ بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلب، وأول بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصحّ لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخصّ به، وأكشف عنه، وأتمّ له، وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية" (الجرجاني، 1992) فعبد القاهر يبّز الجانب الجمالي والعقلي ماعا؛ فالكلام البليغ لا يقتصر على إيصال المعنى بوضوح، بل يزين بأسلوب رفيع يشدّ المتلقي، ويثير إعجابه، ويغلب على عاطفته وذوقه.

وهي عند ابن وهب: " القول المحيط بالمعنى المقصود، مع اختيار الكلام، وحسن النظام، وفصاحة اللسان" (الكاتب، 1969) فابن وهب يؤكد على الإحاطة بالمعنى بدقة، إل جانب انتقاء الألفاظ وتنظيمها وتركيبها بشكل فصيح وجميل، مما يجعل الكلام متكاملا في مضمونه وشكله. وعرّفها الرازي فقال: " البلاغة: هي بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه، مع الاحتراز عن الإيجاز والإطالة المملة" (الرازي، 2004) فالرازي يرّكّز على التوازن بين المعنى والأسلوب، فالبلاغة عنده هي التعبير الكامل عن الفكرة دون تقصير أو إسهاب، مما يحقق الوضوح والاعتدال معا.

وعرّفها السكاكي بقوله: "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقّها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها" (السكاكي، 1987) فالسكاكي يميل إل الجانب التركيبي والبلاغي الفني، ويرى أن البلاغة تتمثل في اختيار التراكيب الملائمة، واستخدام الصور البلاغية بدقة، بما يخدم المعنى المقصود.

وعرّفها الخطيب القزويني (ت 739ه) فقال: "البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، مع فصاحته" (القزويني، 1989) فهو بهذا التعريف يُحدّد ثلاث ركائز أساسية تقوم عليها البلاغة وهي: حسن اختيار الألفاظ، وسلامة التركيب وصحته، واختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين مع مراعاة حسن الابتداء والانتهاء، وعليه، فالكلام عنده لا يُعدّ بليغا لمجرد فصاحته، بل لا بدّ من مناسبة المقام، وهذا ما يكسبه التأثير والإقناع.

وميّز القزويني بلاغة الكلام من بلاغة المتكلم، فقال عن الثانية: " وأمّا بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ" (القزويني، 1989) وواضح من هذا التعريف أنّها ليست مجرد معرفة نظرية بالقواعد، بل مهارة مكتسبة يتمكن بها الشخص من إنتاج كلام بليغ في أي وقت يشاء، وفي أي موضوع يتناوله، فالفرق بين من يحفظ قواعد البلاغة وبين من يمتلك بلاغة حقيقية، هو أن الأول قد يصيب أحيانا ويُخطئ أخرى، بينما الثاني يمتلك ملكة داخلية تمكّنه من استخدام اللغة البليغة تلقائيا دون تكلف أو تردد، إذن، بلاغة المتكلم لا تعني أن ينطق جملة واحدة بليغة، بل أن تكون لديه القدرة المستمرة على تأليف الكلام البليغ كلما أراد ذلك، وبما يتناسب مع المعنى والمقام. **وحاصل القول:** إنّ تعريف الخطيب القزويني **(ت 739ه)** هو الأوضح والأدق في بيان مفهوم البلاغة، حتى إنه أصبح المرجع الأساس لدى معظم البلاغيين المتأخرين، لما يتميز به من شمول ودقة في التعبير عن حقيقة البلاغة وخصائصها.

3. الملكة البلاغية

على الرغم من أهمية الملكة البلاغية في ميدان علوم اللغة، وخصوصا في علم البلاغة، فإن الباحث لا يجد فيما اطلع عليه من كتب هذا الفن تعريفا جامعا مانعا للملكة البلاغية من حيث كونها مصطل احا لقبيا يدل على ملكة عقلية ولسانية مخصوصة. ويبدو أن هذا الغياب يعود، في الغالب، إلى أحد عاملين رئيسين: فإمّا أن المفهوم كان يعبّر عنه عبر مصطلحات

متعددة تُجسّد معناه وتعكس أبعاده، أو لأن دلالته كانت متداولة ضمنا بين البلاغيين، بما جعل التوافق المعرفي حوله يغني عن الحاجة إلى صياغته في تعريف جامع مانع. غير أن العودة إلى المبادئ الكلية لعلم البلاغة، واستقراء الدلالات المستنبطة من الإشارات المتفرقة التي توزعت في ثنايا مدونات البلاغيين، تتيح .بعون الله .إمكانية بناء تصور اصطلاحي واضح لمفهوم الملكة البلاغية، يمكن صياغته على النحو الآتي: الملكة البلاغية: (هي كيفية راسخة في النفس، تكسب صاحبها قدرة تلقائية على إدراك وجوه مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتمكّنه من اختيار الأساليب والتراكيب اللغوية الملائمة للسياق، دون عناء أو تكلف).

4. شرح عناصر التعريف وتفصيلها

أ ـ (كيفية راسخة في النفس): يشير هذا الوصف إل أن الملكة البلاغية ليست مجرد مهارة عرضية أو قدرة مكتسبة حديثا، بل هي ملكة ثابتة تستقر في وجدان صاحبها وعقله وذوقه اللغوي حتى تصبح جزءا من بنيته الذهنية والأسلوبية. وهذه الرسوخ يجعل المتكلم يستحضر وجوه البلاغة دون افتعال أو تفكير متكلف، كما هو الحال مع المهارة المكتسبة بالتدريب الطويل والممارسة المتكررة حتى تصير طباعا لا تكلف فيه.

ب ـ (تمكّن صاحبها من إدراك وجوه مطابقة الكلام لمقتضى الحال): في هذا الجانب تتجلى الوظيفة المعرفية والفهم العميق للملكة البلاغية؛ إذ تمكّن المتكلم من ملاحظة الفروق الدقيقة بين الأحوال التي يكون فيها السامع أو المخاطب فيعرف ما يناسب كل حال من الأساليب البيانية والإنشائية، فحين يكون المخاطب منكِرا، يكون المقتضى هو التأكيد، وحين يكون ذكيا فطنا يلجأ إل الإيجاز والترميز، وإذا كان المقام مقام وعظ وتأثير، يقتضي الأمر الإطناب ووضوح العبارة. ومن هنا تتضح أهمية هذه الملكة في تكييف الخطاب تباعا لاختلاف المقامات والأشخاص، فتتغير اللغة تباعا للحال: فخطاب العامة يختلف عن خطاب الخاصة، وخطاب السرور لا يشبه خطاب الحزن، وهكذا.

(وتؤهله لاختيار الأساليب والتراكيب المناسبة): هذه الفقرة من التعريف تكشف عن الجانب الإنتاجي من الملكة البلاغية، فهي ليست قدرة على الفهم فحسب، بل تشمل كذلك القدرة على الإبداع التعبيري. فصاحب الملكة لا ينتج الكلام جزافا، بل يختار بدقة ما يناسب المقام والغرض البلاغي، سواء في مستوى المفردات، أو التراكيب، أو الصور البيانية، أو الأساليب الحجاجية، فيلجأ إلى أسلوب التوكيد حين يشك في تصديق المخاطب، أو إلى التشبيه لتقريب المعنى، أو إلى الحذف لشد الانتباه، أو إل الطباق لإبراز التضاد، وغير ذلك من الأساليب التي تفي بالغرض المطلوب وتناسب الحال. فالملكة البلاغية إذن، قدرة مركبة تجمع بين الفهم العميق للمقامات الخطابية، والقدرة التلقائية على تأليف الكلام على نحو بليغ ومؤثر، والحاصل أنّها ثمرة علم وذوق وتجربة، تصنع المتكلم البليغ الذي يطابق بين الحال والمقال، ويخاطب كل نفس بما يليق بها من بيان.

5. الاستنتاج

كان من النتائج التي تأدّت إليها هذه الدراسة ما يلي:

. الملكة في جوهرها ليست حالة عارضة أو ظرفية بل صفة راسخة في النفس، تجمع بين التمكّن والإحاطة بالشيء والقدرة على التّصرف فيه بوعي واقتدار..أوضحت المعاجم العربية القديمة والحديثة أنّ مادة (م ل ك) تعبّر عن قدرة مركّبة تشمل التمكن والسيطرة، وهو ما انتقل منها إلى المعنى الاصطلاحي للملكة، حيث دلت على استعداد أو قدرة عقلية أو نفسية أو عملية تتيح الأداء المتقن للأفعال المرتبطة بها. .كشفت مراجعة تعاريف العلماء عن تلاقي المفهوم الأساسي للملكة مع اختلاف طرق العرض والتفصيل؛ فبينما ركّز بعضهم على الفطرة والاستعداد الطبيعي، أصرّ آخرون على الدور المحوري للتكرار والممارسة.

. الملكة سواء كانت لغوية بلاغية فنية أو عقلية تمثل المرحلة العليا من التعلم والإتقان؛ حيث يتحول الأداء من مجرد معرفة نظرية إلى ممارسة متقنة وسلسة لا تحتاج إلى تفكير متعمّد أو مراقبة مستمرة.

المراجع

1. ابن جني، أبو الفتح عثمان. (د.ت.) *.الخصائص* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .
2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد .(1981) *.العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر* .بيروت: دار الفكر .
3. ابن عاشور، محمد الطاهر .(2008) *.أليس الصبح بقريب* .دمشق: دار السلام .
4. ابن فارس، أحمد .(1979) *.معجم مقاييس اللغة* .القاهرة: دار الفكر .
5. ابن منظور، محمد بن مكرم .(2006) *.لسان العرب* .بيروت، لبنان: دار صبح .
6. إخوان الصفا وخلان الوفا .(1983) *.رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا* .لبنان: دار بيروت .
7. إدريس، جبور عبد النور .(1986) *.المنهل: فرنسي–عربي* .بيروت، لبنان: دار العلم للملايين .
8. الأصفهاني، الراغب. (1413ه) *.المفردات في غريب القرآن* .دمشق، سورية: دار القلم .
9. جبل، محمد حسن حسن .(2010) *.المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم* .القاهرة: مكتبة الآداب .
10. الجرجاني، عبد القاهر .(1992) *.دلائل الإعجاز* .القاهرة: مطبعة المدني .
11. الجرجاني، علي بن محمد .(1983) *.التعريفات* .بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية .
12. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر .(2004) *.نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز* .بيروت: دار صادر .
13. السكاكي، يوسف بن أبي بكر .(1987) *.مفتاح العلوم* .بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية .
14. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (1419ه) *.الصناعتين: الكتابة والشعر* .بيروت: المكتبة العصرية .
15. الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد .(1985) *.التنبيه على سبيل السعادة* .بيروت: دار المناهل .
16. الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد .(1990) *.الحروف* .بيروت، لبنان: دار الشروق .
17. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب .(1979) *.القاموس المحيط* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .
18. القاضي، عبد الله بن محمد .(2016) *.الملكة الفقهية: حقيقتها، وشروط اكتسابها، وثمراتها* .المملكة العربية السعودية: إصدارات الجمعية الفقهية السعودية .
19. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن .(1989) *.الإيضاح في علوم البلاغة* .بيروت: الشركة العالمية للكتاب .
20. الكاتب، إبراهيم بن محمد .(1969) *.البرهان في وجوه البيان* .القاهرة: مكتبة الشباب .
21. مجمع اللغة العربية .(2004) *.المعجم الوسيط* .القاهرة: مكتبة الشروق الدولية .

Romanisation

1. Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʿUthmān. (n.d.). *Al-Khaṣāʾiṣ*. Al-Qāhirah: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb.
2. Ibn Khaldūn, ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad. (1981). *Al-ʿIbar wa-Dīwān al-Mubtadaʾ wa-al-Khabar fī Tārīkh al-ʿArab wa-al-Barbar wa-Man ʿĀṣarahum min Dhawī al-Shaʾn al-Akbar*. Bayrūt: Dār al-Fikr.
3. Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (2008). *Alaysa al-Ṣubḥ bi-Qarīb*. Dimashq: Dār al-Salām.
4. Ibn Fāris, Aḥmad. (1979). *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah*. Al-Qāhirah: Dār al-Fikr.
5. Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. (2006). *Lisān al-ʿArab*. Bayrūt, Lubnān: Dār Ṣubḥ.
6. Ikhwān al-Ṣafāʾ wa-Khillān al-Wafāʾ. (1983). *Rasāʾil Ikhwān al-Ṣafāʾ wa-Khillān al-Wafāʾ*. Lubnān: Dār Bayrūt.
7. Idrīs, Jabbūr ʿAbd al-Nūr. (1986). *Al-Manhal: Faransī–ʿArabī*. Bayrūt, Lubnān: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn.
8. Al-Iṣfahānī, al-Rāghib. (1413 AH). *Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurʾān*. Dimashq, Sūriyā: Dār al-Qalam.
9. Jabal, Muḥammad Ḥasan Ḥasan. (2010). *Al-Muʿjam al-Ishtiqāqī al-Muʾaṣṣal li-Alfāẓ al-Qurʾān al-Karīm*. Al-Qāhirah: Maktabat al-Ādāb.
10. Al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir. (1992). *Dalāʾil al-Iʿjāz*. Al-Qāhirah: Maṭbaʿat al-Madanī.

11. Al-Jurjānī, ʿAlī ibn Muḥammad. (1983). *Al-Taʿrīfāt*. Bayrūt, Lubnān: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
12. Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn Muḥammad ibn ʿUmar. (2004). *Nihāyat al-Ījāz fī Dirāyat al-Iʿjāz*. Bayrūt: Dār Ṣādir.
13. Al-Sakkākī, Yūsuf ibn Abī Bakr. (1987). *Miftāḥ al-ʿUlūm*. Bayrūt, Lubnān: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
14. Al-ʿAskarī, Abū Hilāl al-Ḥasan ibn ʿAbd Allāh. (1419 AH). *Al-Ṣināʿatayn: Al-Kitābah wa-al-Shiʿr*. Bayrūt: al-Maktabah al-ʿAṣriyyah.
15. Al-Fārābī, Abū Naṣr Muḥammad ibn Muḥammad. (1985). *Al-Tanbīh ʿalā Sabīl al-Saʿādah*. Bayrūt: Dār al-Manāhil.
16. Al-Fārābī, Abū Naṣr Muḥammad ibn Muḥammad. (1990). *Al-Ḥurūf*. Bayrūt, Lubnān: Dār al-Shurūq.
17. Al-Fīrūzābādī, Majd al-Dīn Muḥammad ibn Yaʿqūb. (1979). *Al-Qāmūs al-Muḥīṭ*. Al-Qāhirah: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb.
18. Al-Qāḍī, ʿAbd Allāh ibn Muḥammad. (2016). *Al-Malakah al-Fiqhiyyah: Ḥaqīqatuhā wa-Shurūṭ Iktisābihā wa-Thamarātuhā*. Al-Mamlakah al-ʿArabiyyah al-Suʿūdiyyah: Iṣdārāt al-Jamʿiyyah al-Fiqhiyyah al-Suʿūdiyyah.
19. Al-Qazwīnī, Jalāl al-Dīn Muḥammad ibn ʿAbd al-Raḥmān. (1989). *Al-Īḍāḥ fī ʿUlūm al-Balāghah*. Bayrūt: al-Sharikah al-ʿĀlamiyyah lil-Kitāb.
20. Al-Kātib, Ibrāhīm ibn Muḥammad. (1969). *Al-Burhān fī Wujūh al-Bayān*. Al-Qāhirah: Maktabat al-Shabāb.
21. Majmaʿ al-Lughah al-ʿArabiyyah. (2004). *Al-Muʿjam al-Wasīṭ*. Al-Qāhirah: Maktabat al-Shurūq al-Dawliyyah.